الفصل الحادى عشر
البحث الوصفى

مقدمة :

يقوم البحث الوصفى بوصف ما هو كائن، وتفسيره . وهو يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التى توجد بين الوقائع والحقائق، كما يهتم أيضا بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات وطرائقها فى النمو والتطور . ولا يقتصر البحث الوصفى على جمع البيانات وتبويبها ولكنه يتضمن قدراً من التفسير لهذه البيانات . وكثيرا ما يصطنع البحث أساليب القياس والتصنيف والتفسير . ويحتاج الفرد إلى أنواع عديدة من البيانات التى يمكن جمعها عن طريق المنهج الوصفى من أهمها :

أ - قد تجمع البيانات من خلال البحث المنظم والتحليل المتسق لجميع الجوانب ذات الأهمية فى الوقت الحاضر .

ب- وقد تجمع البيانات من دراسة ظروف وممارسات فى دول متقدمة أو من التعرف على ما يعتبره الخبراء سليما أو مرغوبا فيه .

جـ- وقد نتلمس خبرة الآخرين الذين واجهوا مواقف مماثلة . وقد يستلزم الأمر التعرف على آراء الخبراء الذين يعرفون أفضل الطرق التى توصل للهدف .

وتستند الدراسات الوصفية على عدة أسس منهجية من أهمها التجريد وهى عملية عزل وانتقاء جوانب معينة من مفهوم كلى كجزء من عملية تقديمه أو توصيله للآخرين ، والتعميم وهى عملية استخلاص حكم من واقع تصنيف البيانات أو المعلومات . وقد يكون الحكم شاملا فيبدأ بكلمة كل أو جميع وقد يكون جزئيا فيبدأ ببعض أو معظم .

هدف وأهمية البحث الوصفى :

تزودنا البحوث الوصفية فى المجالات الاجتماعية والتربوية والنفسية بمعلومات

حقيقية عن الوضع الراهن للظواهر المختلفة التى يتأثر بها التربويون فى عملهم . ومثل هذه المعلومات ذات قيمة عملية تؤيد ممارسات قائمة أو ترشد إلى سبيل تغييرها نحو ما ينبغى أن يكون . وهذا هو الهدف التطبيقى . أما ثانى الهدفين فهو الهدف العلمى، حيث تقدم هذه الدراسات من الحقائق والتعميمات ما يضيف إلى رصيدنا من المعارف مما يساعد على فهم الظواهر والتنبؤ بحدوثها .

وتبدو أهمية البحث الوصفى إذا عرفنا أن البحث العلمى لم يطبق بدرجة متساوية على جميع المجالات فى التربية . فبعض الميادين التربوية لم تكن عادة مصحوبة بالاستقصاء التجريبى . ومرحلة التطور فى ميادين معينة من ميادين التخصص فى التربية تقوم بوجه عام على أساس مدى تشكيل الأفكار والنظريات كمسائل تجريبية يمكن أن تختبر بالملاحظة . وتتحرك كل ميادين التربية فى الفترة الراهنة تجاه صياغة واختبار الفروض . ولكن جزءا كبيرا من البحث فى هذا الميدان يستمر لسنوات تالية فى الاهتمام بالوصف والتفسير . إذ يجب أن نعرف شيئا عن المتغير قبل أن نستطيع البدء فى ربطه بمتغيرات أخرى . وهكذا يكون من المنطقى أن تمر ميادين التخصص خلال مرحلة وصفية من البحث لكى يمكن أن يكون للتفسيرات التربوية الأسس التى يمكن أن تبنى عليها النظرية . ولا يستطيع الفرد أن يكون نظريات أو يختبرها دون معلومات مدونة عن الموضوعات التى نهتم بها . ونحن مثلا لا نضع الفروض عن العلاقة بين السياسات التربوية ومنظمات أو نقابات المعلمين مالم نحصل على بيانات كافية عن تكوين هذه المنظمات والنقابات كأن نعرف أى أنواع الأنشطة التى تزاولها هذه المنظمات . فمنظمة المعلمين التى ترى نفسها جمعية مهنية فى المكان الأول تهتم بالمستويات المهنية والمعرفة العلمية ولا ينتظر منها أن تتصرف على غرار نقابات العمال فيما يتعلق بمسائل الأجور والعقود . فنظام التصنيف ضرورى فى تفهم الفروض الخاصة بالعلاقات بين المتغيرات .

والبحث الوصفى قد يعتبر من الناحية العلمية منهجية ضعيفة أو فقيرة . لأن الهدف النهائى للبحث هو تفسير شئ . ولكن يمكن القول بأن الفكرة الشديدة التجريد لأنشطة الباحثين هى وحدها التى يمكن أن تستبعد البحث الوصفى . ويمكننا أن نجادل

فى أن الوصف نشاط من أنشطة البحث له فائدة كبرى فى تفهم مشكلات التفسير وبعبارة أخرى يمكن القول بأن البحث الذى يقصد به أن يكون وصفيا أكثر منه تفسيريا كثيرا ما يوحى بوجود علاقة بين المتغيرات وهى الخطوة الأولى فى طريق التفسير .

أنواع البحوث الوصفية :

هناك عدة أنواع رئيسية من البحوث الوصفية نعرضها فى السطور التالية :

١- دراسات النمو : وهى من أشهر البحوث الوصفية التقليدية والغرض من بحوث النمو هو الكشف عن أصول هذا النمو واتجاهاته ومعدلاته وحدوده وأبعاده مع اهتمام كبير بالأسباب والعلاقات والعوامل المؤثرة فى النمو . وتعد دراسات «أرنولد جيزل» Gesell و «فرانسيس الج» Ilg فى نمو الطفل أمثلة لهذا النوع من البحث . ويناقش المؤلفان فى كتابهما : «الطفل من الخامسة إلى العاشرة» . وتقوم الطرق المستخدمة فى بحثيهما على أساس الاتصالات الفردية بالأطفال موضوع الدراسة وبوالديهم، ثم الملاحظة من خلال ستار يسمح بالرؤية من جانب واحد . وقاما بفحص أكثر من ٥٠ طفلا تتراوح أعمارهم بين الخامسة والعاشرة كأفراد وجماعات . وكانت دراسة حالة كل طفل تقوم على استخدام الأساليب والوسائل الآتية :

١- اختبار نفسى يقوم على أساس جداول «بيل» فى النمو ومقياس «ستانفورد بينيه» فى الذكاء .

٢- اختبارات الأداء .

٣- اختبارات الاستعداد للقراءة .

٤- اختبارات المهارات البصرية .

٥- ملاحظات طبيعية أثناء اللعب وأثناء السلوك المتوتر والسلوك فى أوضاع طارئة.

٦- مقابلة شخصية مع الأم خاصة بسلوك الطفل فى البيت وفى المدرسة .

وكان هدف الدراسة تفهم نمو الطفل . وقد وجد أن نمو الفرد عملية ينتج عنها نماذج من السلوك تتغير كلما نضج الطفل . وهذه ترتب كمراحل متدرجة للنمو يمكن استخدامها كإطارات مرجعية نستطيع من خلالها رؤية الطفل كفرد .

٢- دراسات الملاحظة الطبيعية :

نستطيع فى البحث الوصفى جمع بيانات عن طريق توجيه مجموعة من الأسئلة سبق إعدادها فى مواقف معينة . وتتضمن هذه المواقف اختبارات سيكولوجية واستفتاءات مسحية وقوائم استطلاع الرأى العام . وقد نلاحظ ببساطة سلوكا فى موقف طبيعى ونسجل ما نرى ثم نقوم بتنظيم ما نلاحظه . ويعتبر كتاب فيليب جاكسون «الحياة فى حجرات الدراسة» مثالا جيدا للبحث الطبيعى فى حجرة الدراسة الذى يحاول فيه الباحث إلقاء نظرة جديدة على سلوك المدرسين والتلاميذ فى عالم المدارس الحقيقى . والملاحظة الطبيعية بوصفها نشاطا للبحث الوصفى لها نفس الفائدة التى تمتاز بها معظم الدراسات الوصفية . أى أنها تمدنا بالمعلومات التى تساعد على صياغة فروض تفسيرية كما فعل جاكسون . إننا نرغب فى معرفة التفاعل بين المدرس والتلميذ . فبملاحظة الموقف فى حجرة الدراسة قد نرى أن أطفالاً معينين يعتريهم العبوس ويحجمون عن المشاركة حين يعنفهم المدرس . وقد نرى مدرسين يمتدحون أطفالاً آخرين وعندها نلحظ زيادة فى المشاركة من جانبهم . فإذا كان العملان قريبين من بعضهما فمن السهل تكوين فرض أولى هو أن العنف أو التوبيخ يؤدى إلى الإحجام ، والمديح يزيد من المشاركة فى الفصل . ومع ذلك فإننا لا نستطيع بهذه البساطة أن ندعى اكتشاف علاقة السبب والنتيجة . وعندما ننظر إلى الفروض البديلة فيمكن أن نفسر السلوك الملاحظ ببعض التفسيرات المنطقية الأخرى . فمثلاً يمكن أن يكون إحجام الأطفال الذين تعرضوا للتوبيخ هو الاستجابة المنطقية لأى اتصال من جانب المدرس . ويمكن أن يكون العكس صحيحاً بالنسبة للأطفال الذين امتدحوا . وهذا يعنى أن أى تفاعل بين المدرس والتلميذ يمكن أن يؤدى إلى نتائج تعزى مؤقتاً إلى التأنيب والمديح . وفى البحث الوصفى يجب أن ننظر عادة إلى تفسيراتنا على أنها مبدئية إلى حد بعيد . ولكن نستطيع بترتيبات تجريبية التحكم

فى عوامل أخرى قد يكون لها تأثيرها فى السلوك . ويمكننا أن نعرف ما إذا كانت ملاحظاتنا قد أمدتنا بالأساس السليم الذى نقيم عليه فروضنا أم لا ؟ والملاحظة الطبيعية لها مميزاتها فهى تسهل على الملاحظ أن يقلل من تأثيره على ما يلاحظ وهى ميزة لا تتأتى للطرق الأخرى .

وفى الأنواع الأخرى من البحث الوصفى قد يستجيب الأشخاص للمقابلات الشخصية والاستفتاءات بصورة لفظية فقط متكيفين بذلك مع متطلبات هذا الموقف الاجتماعى المصطنع . بل إن التجارب المعملية بالغة الانضباط لا تستطيع التخلص من النتائج غير المتوقعة لإدراك الخاضع للتجربة أنه لا يشارك فى موقف طبيعى وإنما فى موقف اصطناعى . والواقع أن الباحثين لا يرغبون فى معظم الأحيان فى تعميم تجربة المواقف الطبيعية . وقد يرغبون فى أن تتأثر ملاحظاتهم بمثل هذه العوامل الداخيلة وأن يسلك المفحوصون طبقاً لتوقعات الباحث نفسه . وهناك فائدة محتملة للملاحظة الطبيعية وهى أن الخاضعين للتجربة قد لا يدركون أنهم هدف الملاحظة . وتعالج الدراسات المبنية على الملاحظة السلوك الظاهرى المعلن لشخص أو مجموعة فى موقف معين أو أثناء فترة معينة من الزمن . فمن خلال الملاحظة المباشرة نستطيع أن نرى ما يفعله إنسان في الواقع . فالخبرة والمعرفة بعلم النفس وعلم الاجتماع يمكن أن تقدم لنا الحل والعون فى تفسيراتنا .

ملاحظة المشترك فى التجربة :

تنطوى طريقة البحث المسماة «طريقة الملاحظ المشترك فى التجربة» على ملاحظة وكتابة تقرير عن المواقف بواسطة شخص ما يكون على مسرح التجربة ويسهم فى الأنشطة أو يلاحظها كعضو فى المجموعة . ويغلب أن يحتفظ بالغرض الحقيقى من وجود الباحث على المسرح . وهناك مناقشة ممتازة عن دور الملاحظ المشترك ومشكلاته فى فصل من كتاب «هربرت جانز» Gans. H: The Urban Villagers يصف فيه المؤلف الطرق التى يستخدمها كملاحظ مشترك فى دراسة الحياة فى حى «وست إند» بمدينة بوسطن . وكان «جانز» يعيش فى الحى الفقير الذى درسه واستخدم فى الميدان الحقيقى لعمله ست طرق كبرى هى :

١- استخدام الإمكانيات والخدمات المتاحة فى المنطقة .

٢- حضور الاجتماعات وتقديم المساعدة فى الأماكن العامة والتعامل مع المحلات المجاورة فى الحى .

٣- المشاركة فى زيارة الجيران بصورة غير رسمية والمشاركة فى الأنشطة الاجتماعية .

٤- إجراء مقابلات رسمية لموظفى الحى .

٥- الاستعانة بأهل الرأى من أناس كانوا يعرفونه ويعرفون اهتمامه بشئون الجيران ويخبرونه على الدوام بأهل الحى .

٦- استخدام الملاحظة المباشرة التى تقتضى أن يظل مفتوح العينين والأذنين .

وهناك مشكلات تكمن فى هذا النوع من البحث، فكل ملاحظ مشترك قد يندمج عاطفياً فى دراسته مع أشخاصها . وهذا ينقص من موضوعية الدراسة ما لم يكن الباحث مدركاً لهذا التوحد مع موضوعه . وهناك مشكلة أخرى تتعلق بالأخلاقيات فقد يكون لدى الباحث بعض الخوف من توسيع دائرة صداقته أو من المشاركة كعضو فى الجماعة فى دور مزودج كجار وملاحظ . وليس لهذه المشكلة حل سهل . والأسئلة التى يجب الإجابة عنها فيما يختص بهذا الميدان الأخلاقى هى : هل الغرض من الدراسة صحيح ؟ هل تنجم عن هذه الدراسة نتائج ضارة بالناس الخاضعين للتجربة ؟ هل يمكن المحافظة على أسرار أصحابها ؟ وللملاحظة المشترك فائدتان واضحتان تتميز بهما عن ملاحظة غير المشترك . الفائدة الأولى أن الفرد يلاحظ سلوكاً طبيعياً والأشخاص يقدمون أنفسهم للملاحظ كما يفعلون مع أى عضو آخر فى جماعتهم . وهنا نتجنب المشكلات الكامنة فيما أشار إليه «جوفمان» Goffman على أنه «سلوك المسرح الأمامى» و «سلوك المسرح الخلفى» . ومثال جوفمان النابض بالحياة عن التباين بين الموقفين فيه وصف لسلوك خدم المطاعم حين يكونون فى قاعة طعام الضيوف وسلوكهم حين يكونون فى المطبخ بين العاملين من زملائهم . ويمكن أن نضرب مثلاً مشابهاً بسلوك التلاميذ فى وجود المعلم فى الفصل وسلوكهم أثناء غيابه. والفائدة الكبرى الثانية لملاحظة المشتركة هى أن العلاقة بين الملاحظ وما

يلاحظه تشبه العلاقة الحقيقية بين الأعضاء فى المجموعة . وبهذه الطريقة يستطيع الملاحظ أن يحدث استجابات طبيعية معينة لأى نوع من السلوك يرغب فى توضحيه.

ملاحظات غير المشترك :

يجب على الملاحظ غير المشترك أن يراعى أن يكون وجوده غير معروف أو غير مزعج للشخص أو المجموعة التى يلاحظها . وكتاب «روجرز باركر» و «هربرت رايت» One Boy's Day مثال التسجيل الدقيق لسلوك صبى فى السابعة من عمره من وقت استيقاظه فى الصباح حتى وقت نومه ليلاً . وقد سجل الملاحظات ثمانية من الملاحظين المدربين الذين يتناوبون على جمع المعلومات بكتابة مذكرات قصيرة فى فترة الملاحظة . ويستطيع الملاحظ باستخدام المعينات الآلية الحديثة أن يسجل الأصوات أثناء الملاحظة التى يقوم بها . وذلك باستخدام ميكروفون سرى بجهاز تسجيل وبهذا الاختراع لا يستطيع شخص آخر سماع ما يقال . وبهذه الوسيلة يستطيع الملاحظ أن يسجل الأحاديث والملاحظات فى الحال دون أن يشتت انتباه الطفل أو الأطفال الذين يلاحظهم . ولقد اخترع «روبرت بيلز» (R.Bales) طريقة للملاحظة وتعتبر من أحسن الطرق لتسجيل التفاعل فى المجموعات الصغيرة (Kerlinger:p. 544) . ويتعلم الملاحظ من هذه الطريقة تحليل التفاعل داخل المجموعة على أساس اثنتى عشرة فئة للسلوك . ويستخدم الملاحظ شريطاً متحركاً يسجل عليه بياناته . وبدلاً من محاولة كتابة موجز لما يقوله كل شخص يوضح الملاحظ على الشريط الفئة الملائمة للملاحظة مثل «يطلب مقترحات» أو «يدلى برأى» . ويوضح الملاحظ أيضاً من الذى وجه الملاحظة وإلى من وجهت . وحينئذ يخرج الملاحظ بصورة للتفاعل فى داخل المجموعة وكذلك بصورة عن كل شخص فى المجموعة .

٣- الدراسات السببية المقارنة :

هناك نوع آخر من البحوث الوصفية يحاول أن يتوصل إلى إجابات لمشكلات من خلال تحليل العلاقات المتبادلة . فيبحث عن العوامل التى ترتبط بوقائع وظهور أى أنماط سلوك معينة . وذلك لأن الباحث لا يستطيع فى كثير من الحالات أن يعيد ترتيب الوقائع والتحكم فى وقوعها ، وأن الطريقة الوحيدة المتوفرة لديه هى تحليل ما

يحدث فعلاً لكى يتوصل إلى الأسباب والنتائج . على سبيل المثال دراسات العلاقة بين نوعية التدريس الجيد والردئ وبين نوع المعاهد التي أعد فيها المدرسون . هذه الدراسات لم تُؤد إلى نتائج قاطعة . وقد يرجع ذلك لعدة أسباب منها صعوبة التوصل إلى معيار مقبول وصادق للتدريس الجيد . وليست نوعية المعهد الذى تخرج فيه المدرس هى العامل الوحيد . فهناك متغيرات أخرى مثل الحالة الاجتماعية والاقتصادية والصفات الشخصية وأنواع الخبرات غير المدرسية والاتجاهات نحو مهنة التدريس وغير ذلك، وعلى الرغم من أن لهذه الطريقة المقارنة بعض المزايا فى دراسة المشكلات الاجتماعية إلا أن لها نواحى نقص عديدة منها :

- الإخفاق فى عزل عامل له دلالة حقيقية .
- الإخفاق فى إدراك أن الأحداث كثيراً ما يكون لها أسباب عديدة لا سبب واحد .
- استناد النتائج إلى عدد محدود من الوقائع .
- الإخفاق فى ملاحظة أن العوامل قد ترتبط معاً أو دون أن يكون بينها علاقة سبب ومسبب وقد يؤدى هذا بالباحث إلى نتائج كاذبة مضللة .

٤- المسح : .

المسح طريقة للبحث تتضمن جمع بيانات لعدد كبير من الحالات من منطقة محدودة فى وقت معين . ومن الممكن فى بعض عمليات المسح توجيه أسئلة أو عقد مقابلة مع جميع أفراد المعنية الذين تتضمنهم العملية . فإذا أراد شخص مثلاً القيام بمسح لآراء الطلاب المبتدئين فى كلية صغيرة بمنطقة معينة فيمكن تصور عقد مقابلة شخصية لكل طالب مبتدئ أو إرسال استفتاء إليه للإجابة عليه . ومع ذلك فإذا أراد شخص مسح جميع الطلبة فى جامعة كبرى فإن شمول المسح لكل طالب فى الجامعة أمر مستحيل . ومن أهم الدراسات المسحية :

أ - مسح المجتمع :

ويقصد بعملية مسح المجتمع وصف دقيق لمجموعة من الناس يعيشون معاً فى منطقة جغرافية معينة . ولا يوجد خط ثابت يفصل بين عمليات المسح الاجتماعية وعمليات مسح المجتمع . ومع ذلك فإن عمليات مسح المجتمع تجرى عادة بقصد ضمنى هو تقديم معلومات تساعد على التخطيط الإقليمى للمستقبل .

ب- المسح التعليمى :

يجرى المسح التعليمى عادة لتحديد المطالب التعليمية . ولكثير من النظم التعليمية أقسام للبحث تجرى فيها البحوث التى تتصل بنوع التربية التى يلتقاها تلاميذها . وتستخدم النظم التعليمية خبراء من الجامعات لمساعدتها فى القيام بعمليات المسح وتقييم النتائج .

والفروض الأساسية التى يقوم عليها المسح التعليمى هى :

١- أن المشكلات المدرسية يجب أن تحل بمشاركة أكبر عدد مستطاع من الناس

٢- أن المجموعات المختلفة قد تشترك اشتراكاً سليماً عند اتخاذ القرارات الخاصة بمختلف المشكلات المدرسية .

٣- أن الناس الذين درسوا المشكلات المدرسية وتخصصوا فيها يستطيعون النظر إليها نظرة غير ذاتية ويمكن أن يكونوا مشاركين مرغوباً فيهم لتقييم المدارس.

وتعتبر المسموح التعليمية من أكثر أنواع البحوث الوصفية استخداماً ولاسيما بين طلاب الدرجات للماجستير والدكتوراه بكليات التربية .

جـ- تحليل المحتوى :

يشير تحليل المحتوى أو المضمون أو تحليل الوثائق إلى مسح الوثائق المادية مثل الكتب المدرسية والدوريات والسجلات من جميع الأنواع . والباحث فى هذا الميدان يهتم بالمسح الكمى والنوعى للمواد المطبوعة . ومثل هذا التحليل يمكن أن يستخدم لوصف المحتوى ولتتبع تطور ممارسة معينة أو أسلوب معين أو اعتقاد معين . وذلك للكشف عن التعصب أو الدعاية فى المواد التى تدرس، والكشف أيضاً عن مراكز الاهتمام فيها . وقد سبق أن فصلنا الكلام عن تحليل المحتوى كمنهج من مناهج البحث ويمكن الرجوع إليه .

د - أسلوب دلفاى : Delphi Technique

هو أسلوب فى البحث العلمى ينسب إلى مؤسسة راند Rand corporation الأمريكية طوره «أولاف هيلمر» Olaf Helmer ومساعدوه فى الخمسينيات . وكان

هيلمر معنيا بمحاولة التوصل إلى أساليب للتنبؤ بالمستقبل في مجال الدفاع القومى على أساس من آراء الخبراء . وكانت الطريقة التقليدية لعمل ذلك تتم عن طريق تجميع آراء الخبراء والمختصين وجدولتها أو وضعها فى جداول ، وقد حاول أسلوب دلفاى تحسين هذه الطريقة بمحاولة التوصل إلى درجة من الاجماع بين الخبراء . ولذلك يعرف أسلوب دلفاى بأنه أسلوب اجماع الخبراء أو المختصين . وهو يعتمد على استخدام طريقة المسح المفتوح Open End Survey ثم ترتيب الأولوية أو الأهمية Ranking . وعند تطبيق أسلوب دلفاى توجه الأسئلة أو العبارات عادة إلى ذوى الخبرة وأهل الاختصاص فى الموضوع ويطلب منهم إبداء رأيهم مع إبداء الأسباب أو التعليلات لذلك . وعند تجميع كل الآراء والمعلومات ترتب وتوضع فى قوائم أو جداول ثم ترسل ثانية إلى نفس الخبراء الذين وجهت إليهم الأسئلة أو العبارات فى البداية . وبهذا يطلع كل منهم على آراء زملائه الآخرين والأسباب والتعليلات التى يبدونها والتى قد تختلف عن آرائهم وتعليلاتهم . وعندئذ قد يحاول بعض منهم اعادة النظر فى آرائهم ومواقفهم فى ضوء المعلومات الجديدة . وتجمع آراء الخبراء مرة ثانية ثم ترتب وتوضع فى قوائم وترسل لهم مرة ثالثة لابداء رأيهم فى الصورة الجديده المنقحة . وهكذا قد تتكرر هذه العملية عدة مرات حتى يمكن التوصل إلى الإجماع بين الخبراء بتقليل الاختلافات بينهم فى كل مرة تعاد لهم الأسئلة .

وقد حاول كل من وذرمان Weatherman وسوينسون Swenson عام ١٩٧٤ تقديم بعض تطبيقات أسلوب دلفاى فى مجال التربية . والباحث الذى يستخدم هذا الأسلوب يقوم فى بداية الأمر بتوجيه عبارة تتضمن المطلوب إلى الجمهور المقصود فلو كان يقوم مثلا بتطوير منهج تعليم القراءة فى الصف الأول الابتدائى فإنه يوجه إلى معلمى اللغة العربية الذين يقومون بالتدريس فى هذا الصف عبارة تقول : يرجى كتابة ما تراه ضروريا لتطوير منهج تعليم القراءة فى الصف الأول الابتدائى .

ثم يقوم بجمع الإجابات المختلفة للمعلمين . ويعيد ترتيبها ثم يعيدها إلى نفس المعلمين ثانية . ويقوم بعمل قائمة أخيرة من الإجابات المنقحة المرتبة . ويوجه هذه القائمة لنفس المعلمين للمرة الثالثة لإبداء رأيهم فى ترتيبها حسب أولوياتها

وأهميتها . ويقوم الباحث بعد ذلك بجمع الإجابات وحساب تكرارات الإجابات للتوصل إلى ترتيب الإجابات حسب عدد مرات تكرارها الذى يعكس بدوره درجة أهميتها وأوليتها . وتتكرر هذه العملية حتى يمكن التوصل إلى أولوية واضحة متفق عليها .

ويقول تريفرز Travers (ص٣٢٢) إن القيمة النهائية لأسلوب دلفاى تكمن فى الدليل على أنه حقيقة قادر علي التنبؤ بدرجة أفضل من الطرق الأخرى الأبسط منه بيد أن مثل هذا الدليل مفقود فى الوقت الحاضر . فهناك نقاط ضعف فى استخدام هذا الأسلوب كطريقة للتنبؤ .

فقد يوجد بعض الأفراد الأقوياء بين مجموعة الخبراء يستطيعون عرض آرائهم بقوة مقنعة تحمل بعض الأفراد الآخرين فى المجموعة على قبولها . وبعض الأفراد قد يرغبون فى اتباع رأى الأغلبية . والبعض الآخر قد يميلون إلى مسك العصا من الوسط أى يقفون فى المنتصف حتى يكونوا فى بر السلامة والآمان . إن أسلوب دلفاى يتضمن مجموعة من العلاقات الاجتماعية المعقدة التى تعوق الوصول إلي عمل قرار فعال موثوق به . ونحن نعلم القليل فى الوقت الراهن عن طبيعة وأبعاد هذه العلاقات والطريقة التى تعمل وتتفاعل بها . ولتحسين استخدام هذا الأسلوب ينبغى من البداية حسن اختيار الأفراد من أهل الاختصاص والخبراء بحيث يكونون من بين أولئك الذين يعرف عنهم بأنهم يحسنون التنبؤ بالمستقبل أو لهم شهرة وسمعة طيبة فى هذا المجال.

٥- دراسة الحالة :

دراسة الحالة أسلوب شائع الاستخدام فى العيادات الطبية . فالطبيب يستطيع أن يكون معلوماته عن المريض لا بتشخيص الأعراض المرضية فحسب وإنما أيضاً بدراسة أمراضه السابقة والعمليات التى أجريت له مما يساعد على توضيح المشكلة التى يعانى منها المريض فى حاضره .

وبالمثل قد يرغب المعلمون أو المربون فى معرفة اتجاهات تلاميذهم وقدراتهم واهتماماتهم ليتفهموا مشكلاتهم الفردية . وفى البحث التربوى يتسع مفهوم دراسة

الحالة ليشمل كل وصف أو تحليل تفصيلى لشخص واحد أو حدث واحد أو مؤسسة واحدة أو مجتمع واحد أو مجموعة واحدة . فالباحث قد يحلل مثلاً خدمات الإرشاد النفسى التى تقدم فى المدارس الثانوية أو دراسة اتجاهات مجموعة من التلاميذ من وضع اجتماعى أو طبقى معين في المدرسة الابتدائية مثلاً . بيد أن دراسة الحالة فى العيادات الطبية يعود بالنفع أو الفائدة بصورة مباشرة على المريض، وتكون دراسة الحالة عندئذ دراسة شخصية لا يمكن أن نصل منها إلى قواعد عامة تصدق علي الآخرين . وهذا نوع من أنواع دراسة الحالة . هناك نوع آخر يتعلق بدراسة حالة المجموعات أو المؤسسات أو التنظيمات الأكبر . وعندما تكون النتائج المستخلصة مرتبطة بمجموعة أكبر من الناس والأحداث والمؤسسات فإن نطاق الاستفادة منها يكون أوسع . والواقع أن كلا النوعين من دراسة الحالة مطلوب وهما يكملان بعضهما الآخر . بياجيه على سبيل المثال توصل إلى نظرية لنمو الطفل من ملاحظاته التفصيلية لمجموعة قليلة من الأطفال . وبهذا توصل من دراسة الحالات الفردية الشخصية إلى معرفة علمية أكثر شمولاً وتعميماً . وتركز هذه الطريقة الانتباه على حالة واحدة أو عدد محدود من الحالات، وهو اتجاه يهتم بفهم أهم معالم تاريخ نمو الفرد أو الجماعة أو المؤسسة . وفى مجالات الطب النفسى أو العمل الاجتماعى تستخدم دراسة الحالة أولاً فى الأغراض التشخيصية، ثم يسجل التغير الذى طرأ على المفحوص أثناء حل مشكلته، ودراسات الحالة وسيلة للحصول على معلومات يمكن أن توجه الانتباه إلى ميدان يتطلب البحث، أو يمكن أن تؤدى إلى الكشف عن تعميمات جديدة . والمثال التقليدى لدراسة الحالة هو التقرير الذى كتبه «فرويد» عن حالة «دورا» . وهي فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها كانت تعانى من الهستيريا. وتضمنت المادة التى كتبها فرويد فى نحو ثلاثة أشهر من العلاج تقريراً عن حلمين سجلت كلماتهما . وقد كتب تاريخ الحالة من الذاكرة عندما أوشك العلاج على النهاية والذاكرة مازالت قوية . إن الاعتماد على الذاكرة عند التسجيل بعد الحادث مباشرة يجعل المعلومات جديرة بالتصديق إلى درجة عالية . وكان هدف فرويد من عرض هذه الحالة هو أن يبين كيف كان تفسير الحلم جزءاً لا يتجزأ من تاريخ العلاج ، وكيف يمكن أن يساعد فى تفسير الأعراض المرضية . وكان فرويد مدركاً كل الإدراك

لقصور التفسير الناتج عن تاريخ حالة واحدة . ودراسة حالة واحدة لا تقدم أكثر من لمحة عما تكون عليه المشكلة أو القضية . وهذا فى حد ذاته مهم لأنه يؤدى إلى مزيد من البحث .

خاتمة :

تعرضنا فيما سبق إلى الكلام عن البحث الوصفى وعرضنا لأهدافه وأهميته وأنواعه الرئيسية وما يتصل بذلك من أدوات الدراسة وأساليبها . وعرضنا أيضا فى أول كلامنا عن أنواع البحوث إلى التعريف إجمالا بالبحث الوصفى . ويتضح من كلامنا السابق أن هذا النوع من البحث لابد أن يكون ميدانيا يستند فى جمع معلوماته من الميدان باستخدام أساليب وأدوات متعددة من أشهرها الاستبيان والاستفتاء والاختبارات والمقابلات ودراسة الحالة . وهو لذلك يعتبر من أكثر البحوث استخداما فى التربية . لكن مما يلاحظ أن بحوث التربية فى بلادنا العربية فى استخدامها له ولاسيما فى دراسات الماجستير والدكتوراه تسرف إسرافا مخلا بأصول البحث فى استخدام الأساليب الإحصائية والمبالغة فى الوصف التفصيلى لها مما يخرجها عن وظيفتها ويضيع على القارئ متابعة البحث وفهم لب مضمونه ونتائجه . وهناك ملاحظة أخرى هى أنه بقدر الإسراف فى تفصيلات الإحصاء نجد التقتير الشديد فى الإطار النظرى للبحث ومادته العلمية وتفسير نتائجه رغم أنها تمثل الأهمية الكبرى، وهى التى تكسو العظام لحما وتكسب البحث قيمته العلمية. يضاف إلى ذلك أن كثيرا من الباحثين يخطئون فى فهم المنهج الوصفى ويخلطون بينه وبين المنهج التاريخى الذى يعتمد فى جمع مادته العلمية على المصادر والمراجع دون الأدوات الميدانية . وهو ما يسمى أحيانا من قبيل الكلام الدارج بالبحث المكتبى . ولا يقلل ذلك من قيمة البحث التاريخى الذ يبتميز عن باقى أنواع البحوث بأنه إلى جانب كونه نوعا مستقلا بذاته يدخل فى البحوث الأخرى مثله مثل الملح فى الطعام . وقد أشرنا إلى تفصيل ذلك فى أماكن أخرى من هذا الكتاب.